ولا يعمّ وأن يستثنى فقد قال الله عز وجل (إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) ولولا أن القول يخص بعضه بعضاً وأن الشيء يذكر بدخوله في القسمة لكان حق هذا ونحوه أن لا يتشاغل به وأن لا يعاد ويبدأ في ذكره اه

﴿ تتمة الاجماع الرابع لجمعية أم القرى ﴾

قد وجد فينا علماء كان أحدهم يطلع في الكتاب أو السنة على أمر أو نهي فيتلقاه على حسب فهمه ثم يعمد الحكم الى أجزاء المأمور به أو المنهيّ عنه أو الى دواعيه أو الى ما بشا كله ولو من بعض الوجوه وذلك رغبة منه في أن يلتمس لكل أمر حكماً شرعيا فتختلط الأمور في فكره وتشتبه عليه الأحكام ولا سيما من تعارض الروايات فيلتزم الأشد ويأخذ بالأحوط ويجعله شرعاً ومنهم من توسع فصار يحمل كل ما فعله أو قاله الرسول عليه السلام على التشريع والحق كما سبق لنا ذكره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وفعل أشياء كثيرة على سبيل الاختصاص او الجبلية أو العادة ومنهم من توسع فصار لا يرى لزوما لشيء مما في الآية أو الثابت في الحديث اذا كان الأمر من فضائل الاعمال فيأخذ بالأحوط فيعمل به فيقع في التشديد ويظن انه بذلك ورعا وتقوى ومزيد علم ولعنايته بالدين فيلزم الناس تقليده ويرجحون قوله على غيره

وهكذا عظم التشديد في الدين بالباعي حتى صار أمرا واقعا فكأننا لم نقبل مامن الله به علينا من التخفيف ، وان وضع عنا ما كان على غيرنا من ثقل التكليف ، قال تعالى عائبا وجاريا حكمه : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » وقال جاريا منه مجرى « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » أي يخفف عنهم التكاليف الثقيلة ، وعلمنا كيف نحمده بعد أن بين لنا أنه « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وهو ان نقول : « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا » وقال لعبده « لا تعاملوا في ديننا » وقال ورغبنا فيه « ان يشاد الدين أحد الا غلبه » (١) وفي

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة بلفظ « ان يشاد هذا الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا » ورواه غيره أيضا

حديث آخر « هلك المتنطعون » (٢) أي المتشددون في الدين وظن بعض الصحابة ان ترك السحور افضل بالنظر الى حكمة تشريع الصيام فنهاهم النبي عليه السلام عن ظن الفضيلة في تركه : وقال عمر رضي الله عنه في حضور رسول الله لمن اراد ان يصل النافلة بالفرض « بهذا هلك من قبلكم » (٣) فقال النبي عليه السلام « أصاب الله بك يا ابن الخطاب » وانكر النبي عليه السلام على عبد الله بن عمرو بن العاص التزامه قيام الليل وصيام النهار واجتناب النساء وقال له « أرَغِبْتَ عَن سُنَّتي » فقال بل سنتك ابتغي قال « فإني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وانكح النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » (٤) وقد كان عثمان بن مظعون واصحابه عزموا على سرد الصوم وقيام الليل والاختصاء وكانوا حرموا الفطر على انفسهم ظناً انه قربة الى ربهم فنهاهم الله عن ذلك لأنه غلوٌّ في الدين واعتداء فيما شرع فانزل « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » أي أنه لا يحب من تعدى حدوده ومارسمه من الاقتصاد في أمور الدين : وقد ورد في الحديث الصحيح قوله عليه السلام « والذي نفسي بيده ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا أمرتكم به وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا نهيتكم عنه » (٥) فاذا كان الشارع يأمرنا بالتزام ما وضع لنا من الحدود فما معنى نظرنا الفضيلة في المزيد وورد في حديث البخاري « ان أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته » (١) وبمقتضى هذا الحديث نقول ما أحق بعض المحققين المتشددين بوصف المجرمين . وهذه مسألة السواك مثلا فانه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها أنه قال « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك » (٢) فهذا الحديث مع صراحته في ذاته ان السواك لا يتجاوز حد الندب جعله الأكثرون سنة وخصصه بعضهم بعود الأراك وعمم بعضهم الاصبع وغيرها بشرط عدم الإدماء وفصل بعضهم انه اذا قصر عن شبر وقيل عن فتر كان مخالفاً للسنة وتفنن آخرون بان من السنة ان تكون فتحته مقابل نصف الابهام ولا يزيد عن غلظ اصبع وبين بعضهم كيفية استعماله فقال يسند بباطن رأس الخنصر ويمسك بالاصابع الوسطى ويدعم بالابهام قائماً . وفصل بعضهم ان يبدأ بادخاله مبلولا في الشدق الأيمن ثم يراوحه ثلاثاً ثم يتقل وقيل يتمضمض ثم يراوحه ويتمضمض ثانية وهكذا يفعل مرة ثالثة وبحث بعضهم في أن هذه المضمضة هل تكفي عن سنة المضمضة في الوضوء ام لا ومن قال لا تكفي حتج بتمعان الغرغرة : واختلفوا في أوقات استعماله هل هو في اليوم مرة أو عند

كل وضوء أو عند تلاوة القرآن ايضاً حتى صاروا يتبركون بعود الأراك يخللون به الفم يابساً والبعض يعدون له كثير من الخواص منها انه اذا وضع قائماً ركبه الشيطان والبعض خالف فقال بل اذا ألقي يورث مستعمله الجذام : ويتوهم كثير من العامة ان السواك بالاراك من شعائر دين الاسلام الى غير هذا من مباحث التشديد والتشويش المؤديين الى الترك على عكس مراد الشارع عليه السلام من الندب الى تعهد الفم بالتنظيف كيفما كان

ثم قال « العالم النجدي » هذا ما ألهمني ربي بيانه في هذا الموضوع وربما كان لي فيه سقطات ولا سيما في نظر السادات الشافعية من الاخوان كالعلامة المصري والرياضي الكردي لأن غالب العلماء الشافعية يحسنون الظن بغلاة الصوفية « يتمسون لهم الاعذار وهم لاشك أبصر بهم منا معاشر أهل الجزيرة لفقدانهم بين أظهرنا كلياً ولندرتهم في سواحلنا ولولا سياحتي في بلاد مصر والغرب والروم والشام لما عرفت اكثر ماذكرت وانكرت الا عن سماع ولكنت اقرب الى حسن الظن ولكن مابعد البيان لتحسين الظن مجال وما بعد الهدى الا الضلال فنسأل الله تعالى ان يهدينا سواء السبيل

فاجابه « العلامة المصري » : ان أكثر الصوفية من رجال مذهبنا ونحن معاشر الشافعية نتأول لهم كثيراً ما ينكره ظاهر الشرع ونلتمس له وجوها ولو ضعيفة لاننا نرى مؤسسي التصوف الأولين كالجنيد وابن سبعين من أحسن المسلمين حالاً ومقالاً . وفيما يلوح لي ان منشأ ذلك فينا جملة أمور منها كون علماء الشافعية بعيدين عن الامامة والسياسة العامة الاعهداً قصيراً . ومنها كون المذهب الشافعي مؤسساً على الأحوط والأكمل في العبادات والمعاملات أي على العزائم دون الرخص : ومنها كون المذهب مبنياً على مزيد العناية في النيات . فالشافعي في شغل شاغل بخويصة نفسه وهم مستمر من جهة دينه ومحمول على تصحيح النيات وتحسين الظنون ومن كان كذلك مال بالطبع الى الزهد والاعجاب بالزاهدين وحمل أعمال المتظاهرين بالصلاح على الصحة والاخلاص بخلاف العلماء الحنفية فانهم من عهد أبي يوسف لم ينقطع تقلبهم في النظر في الشؤن العامة في عموم آسيا وكذا المالكية في المغرب وأمارات أفريقيا والحنابلة والزيدية في الجزيرة ومن لوازم السياسة الحزم وتغليب سوء الظن واتقان النقد والأخذ بالجرح ومحاكمة الشؤن لاجل العمل بالاسهل الأنسب

وقد امتاز أهل الجزيرة في هذا الخصوص بانهم كانوا ولا يزالون بعيدين عن التوسع

في العلوم والفنون وهم لم يزالوا أهل عصبية وصلابة رأي وعزيمة ، وقد ورد قول النبي عليه السلام فيهم « ان الشيطان قد أيس أن يعبده المسلمون في جزيرة العرب ولكن في التحريش » (١) أي اغراء بعضهم ببعض وكذلك أهل الجزيرة لم يزل عندهم بقية صالحة كافية من السليقة العربية فاذا قرأوا القرآن أو الحديث أو الأثر أو السيرة يفهمون المعنى المتبادر باطمئنان فينفرون من التوسع في البحث ولا يعيرون سمعاً للاشكالات فلا يحتاجون للتدقيقات والابحاث التي تسبب التشديد والتسويش ، وأما غيرهم من الأمم الاسلامية فيتلقون العربية صنعة ويقاسون العناء في استخراج المعاني والمفهومات ومن طبيعة كل كلام في كل لغة أنه اذا مخضته الأذهان تشعبت وتشتت فيه الافهام

وربما جاز أن يقال في السادة الشافعية ولا سيما في علماء مصر منهم أن انطباعهم على سهولة الانقياد سهل أيضاً دخول الفنون الدينية المستحدثة عليهم ودماثة أخلاقهم تأبى عليهم اساءة الظن ما أمكن تحسينه فلذلك حازت هذه الفنون التصوفية المستحدثة قبولا عند علماء الشافعية الأولين

هذا وحيث قلنا ان من خلق المصريين سهولة الانقياد ولا سيما للحق وكذلك علماء الشافعية الأكراد كلهم أهل نظر وتحقيق فلا يصعب حمل الشافعية على النظر في البدع الدينية خصوصاً ما يتعلق منها بمظنات الشرك الجالب للمقت والضنك ولا شك أنهم يمتثلون أوامر الله في قوله تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) وقوله تعالى (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) هذا وكثير من علماء الشافعية الأقدمين والمتأخرين المتصرون للمذهب السافي السديد ، المقاومون للبدع والتشديد ، والحق ان التصوف المتغالي فيه لا تصح نسبته لمذهب مخصوص فهذا الشيخ الجيلي رضي الله عنه حنبلي وصوفي

قال (الاستاذ الرئيس) ان أخانا العالم النجدي يعلم أن ما أفاض به علينا لأغبار عليه بالنظر الى قواعد الدين وواقع الحال وكفى بما استشهد به من الآيات البينات براهين دامغة ، ولله على عباده الحجة البالغة ، وعبارة التردد التي ختم بها خطابه يترك بها الحكم لرأي الجمعية ما هي الا نزعة من فقد حرية الرأي والخطابة فأرجوه وأرجو سائر الاخوان الكرام أن لا يتهيبوا في الله لومة لائم ورأي كل منا هو اجتهاده وما على المجتهد سبيل وليعلموا أن رائد جمعيتنا هذه الإخلاص فالله كافل بنجاحها وغاية

كل منا إعزاز كلمة الله والله ضامن إعزازه قال تعالى « ان تنصروا الله ينصركم »

نعم هـذا النوع من الارشاد أعني الانتقاد على الاعتقاد هو شديد الوقع والصدع على التائهين في الوهلة الاولى لأن الآراء الاعتقادية مؤسسة غالباً على الوراثة والتقليد دون الاستدلال والتحقيق وجارية على التعاون دون التقانع . على أن أعضاء جمعيتنا هذه وكافة علماء الهداية في الأمة يشربون والحمد لله من عين واحدة هي عين الحق الظاهر الباهر الذي لا يخفى على أحد فكل منهم يخالج في فكره ما يخالج فكر الآخرين عينه أو شبهه لكنه يتهيب التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال أمر المدلسين ويخاف من الانفراد في الانتقاد ، في زمان فشا فيه الفساد ، وعم البلاد والعباد ، وقل أنصار الحق ، وكثر التخاذل بين الخلق ،

ويسرني والله ظهور الثمرة الاولى من جمعيتنا هذه أعني اطمئنان كل منا على اصابة رأيه واطلاعه على أن له في الآفاق رفاقاً يرون ما يراه ، ويسيرون مسراه ، فيقوى بذلك جنانه ، وينطلق لسانه ، فيحصل على نشاط وعزم في اعلاء كلمة الله ويصبح غير هيّاب لوم اللائمين ، ولا تحامل الجاهلين . ومن الحكمة استعمال اللين والتدريج والحزم والثبات في سياسة الارشاد كما جرى عليه الانبياء العظام عليهم الصلاة والسلام وقد بسطت ذلك في اجتماعنا الأول وسنلاحظه في قانون الجمعية الدائمة الذي نقرره ان شاء الله بعد استيفاء البحث في طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة في اجتماعاتنا الآتية أما اليوم فقد انتهى الوقت وانتصف النهار

باب التربية والتعليم

﴿ قوانين التعليم الرسمي — انتقاد ﴾

(النبذة الرابعة تعليم اللغة والتاريخ والعلوم)

انتقدنا في النبذ السابقة قانون التعليم الرسمي من حيث تعليم الدين ووددنا لو نعلم لنظارة المعارف عذراً نعذرها على تلك العيوب وضروب القصير ونتكلم في هذه النبذة على تقصير القانون فيما يتعلق بتعليم اللغة العربية لغة الأمة والبلاد وتعليم التاريخ والعلوم

العيب العام الاكبر هو ماجاء في عرض كلامنا على اقتراح الجمعية العمومية أعني مزاحمة اللغة الأجنبية للغة البلاد في التعليم الابتدائي وقد خرجت نظارة معارف